

حبيب له مثلها يقوم مقامها وقد ذروا ان القمار يكون من انجع الخيل في ذلك لانه حبيب يابو به المرء عن كل حبيب وهذا القول صواب اذ طالما سمعنا عن كثيرين ممن لا يطيب لهم مجلس ولا يحلو لهم عيش الا بالخمر انهم كانوا اذا جلسوا على منضدة القمار وكانت الخمر موجودة لم يكونوا يذوقونها بل كان كل جهدهم مصروفاً الى القمار وذلك لانهم لا يريدون ان يجمعوا بين حبيين وكان ايمان قلوبهم لا يميل الى الشرك الا ان هذا العلاج على تحقق فائدته نحسبه اشد ويلاتاً وفتكاً من الخمر واذا لم يكن غيره من علاج فليظل الشارب على شرابه فان ضرره مهما اشند لا يبلغ المعشار من ضرر القمار

وقد ذكرنا غير ذلك حالات كثيرة تنفع ولكنها كلها اضرار تقوم مقام اضرار وعلى هذا فقد انقطعت كل وسيلة لمنع الخمر بالاطلاق ولكنها لا تنقطع اذا انصرفت الى تخفيف اذائها ولا سيما بين جماهير الفقراء السكبرين جداً فان تخفيف ذلك عنهم ممكن ميسور ولكن ليس بالتهديب او العلاج بل بالقوة والفعل ولو كانت الحكومات تعين شرطة خاصة بالانبات الفقراء يراقبونها على الدوام وتكون همهم الوحيد لحف الضرر كثيراً بالتدريج اولو كانت تعين حداً من الوقت للشراب لكان مثل ذلك النفع ولكن انى يكون هذا واذا تكثر الحكومات لا تقوم لها قائمة لو نقص عشر ايرادها من مكوس الخمر وهذه الحكومة الانكليزية يتجمع اكثر دخلها من ضرائب الكحول وهي هناك رزق واسع يجري على مئات الوف من الشعب فقس عليها سائر الحكومات

بقي ان الخمر قد صارت في ايامنا هذه مما لا يستغنى عنه وهي اذا كانت حبيبة النفس من حيث انبساطها وسرورها وحبيبة الحكومات من حيث

دخلها ومنافعها فعزى ان يتم لراج ارب او يجاب لسائل طلب وهذه بلادنا المصرية وهي الان مستقرة الاسلام عدو الخمر الالذ فانظر اليها ترى فيها كثيرين تميل رؤوسهم سكرآ وتكاد تعصر خمرأوقل لاحول ولا قوة الا بالله

﴿قول لبعض الناس﴾

«في المآثم والاعراس»

٦

فاشماز صاحبي لذلك واستغفزه مارأى هنالك ولكنه قال في الحال ونعم هذا المقال لا يزعجك يا صاح هذا الهول ولا يرجعك ما سمعت من القول عن القيام بمهمتك واداء المعهود في همتك ولا تقعدنك حال الجهل في هؤلاء النسوة عن الوفاء بحقوق المروءة والفتوة ولا يؤخرنك ظلام المشهد عن السرى واقتحام الاخطار مما ترى ولا تكن الفضائح في هاتيك المناثع مانعتك عن القيام بما وجب فقد تلجى الضرورات في الامور الى سلوك مالا يليق بالادب

فقلت احسن الله لك العزاء وجزاك عن هذا الاحسان خير الجزاء هلم فلا بد لطالب الفتح من رؤية القتل ولجاني الشهد من الصبر على ابر النحل

فسرنا تحت الرداء الحالك وسلكنا لمرامي المرام اقرب المسالك

ولكن ما كان الا بضع خطوات وبعض خطرات حتى رأينا شبحاً يسرع في مشيته كمن يذهب لموعد مع حبيبته او ليواسي اخاً في مصيبتها يسير لقدام على اقدام الاقدام لا يلوي على شيء في الطريق ولا يدركه في وجهته ضرب من ضروب التعويق ولما وصل اليها واستكشفناه وتحققنا شخصه وعرفناه عرفناه من جماعتنا ومن عقد جمعيتنا ولكن استغربنا من صديقنا ان كان مسيرد على عكس طريقنا فدعواناه وسألناه دعواناه باسمه الكريم وسألناه عن خطبه العظيم فاجابنا والدموع منه تسبق اللسان وانقباض محياه عما في قلبه ترجمان فقال عوضنا الله خيراً في صديقنا فلان هذا الذي كان وكان توفي البيلة وحرّم العافون نيسله وقد ظهر انه لم يدخر شيئاً لساعته ولم يحسب مع الانفاق حساب جنازته وقد جاءتي زوجته هلعاء في حالة شنعاء وطرحت كثيراً من الحلي بين يدي وفوضت امر تشييع الجنازة اليّ وقالت القرط والعقد الثمين وبعض الاثاث لنفقات اليوم والليالي الثلاث والاساور لبقية النفقات من ليالي الجمعات وادوات زينة البنت الكبرى ومتاع اختها الصغرى لما يلزم ركبنا مع المقدره في الخروج الى المقبره فلذلك خرجت في هذا الوقت اقصد كريماً فتح بابيه ورفع حجابيه لاضع ما حمل في اماتته واخذ مبلغاً من خزانته لتلك النفقات المرسومه والحفلات المعلومه

فقلت ما اشد هذه المصائب وما اقبح تلك المعائب اذ لك تشييع للميت ام موت للاحياء وهل عمران في الخراب ام خراب في الاحياء في آية شريفة وردت هذه الرسوم المقولة وفي اي كتاب امرنا بذلك العادات المنقولة ارجع اليها الصديق العزيز الى عقلك فان ذلك عار وقبيح من مثلك عار

على من فقه الخيفية السمحاء وعيب على من اتبع الشريعة الغراء ان يأتي من القضاة بما يخزي بين الامم ويبعث من الشناعة على استغاثة الرمم صبرنا على النادات والنائحات فما هذه الآفات المهلكات مال ينفع في الحياة ايذهب كذلك سدى ودين ينهي عن تلك الآثام ايضل اصحابه كذلك على هدى تالله لو كان المال في الخزانة ما استعملناه في هذه المهانة فما بالك ونحن مقلون الا بعد ذلك من الجنون

خول هذا الصديق بوجهه واخذ جهة اليمين وقال عني لكم دينكم ولي دين لست الان في اعتراض وانتقاد وانما اريد قضاء المراد فاستوقفناه واسترجعناه وقلنا لا تتعب فبين ايدينا طلبتك وفي صاحبك امنيتك فرجع مطيعاً وسرنا جميعاً ثم سألنا هذا الرفيق ونحن في الطريق ألم تعلم يا صاح عرف فقيدنا اسرا وهل مات ولم يوص ام وصى بمائتته خيراً فقال سمعت عن بعض اخوته وعلمت من قول زوجته انه من ثلاثة ايام تضاعف عليه المرض واشتدت به الآلام فطلب الدواة والقلم وكتب كمن لم يعتز الا لم ثم طوى كتابه ونادى زوجته فدفعه اليها وقال لها هذه وصيتي فتحفظي عليها فاذا مت فادفعيها الى اي من حضر ففيها مجمل الطلب وتفصيل الخبر ولكن سألت السيدة عن هذه الورقة الآن فقالت دعنا من ذلك يا فلان هل الغائب له والمتقطع قلبه الذي يرى نفسه بحزنه مشعوراً يطلب منه ان يحفظ مظهره فاجبت لهذا الجهل والاهمال واستغربت لهذا التواني والاغفال ولكن ما الحيلة وما الوسيلة وهل لنا ان نصلح من الامر ما فسد النساء والدهر

فقلت ان فقد كتاب المرحوم كفقدته تماماً في انصبيه وغفلة النساء

عن الواجبات حتى هذه الدرجة عجيبه فياخليلي أعيناني واسعداني
وساعداني لننشر هذا الكتاب النفيس ولنزين به اذا حصلناه صفحات
انيس الجليس

قلت وبعد ايراد المسائل واستنباط الحيل والوسائل رأينا بالاجماع
لزوم التنقيب في المتاع عن ضالتنا التي نشدها لعلنا نجد لها فوصالنا الى
البيت وطابنا الصعود نحو طبقة الميت فلم يخالف آله امرنا لعلمهم
بما بيننا فصعدنا ومعنا بعض الرجال وقد تنفس الصبح ونطق لسان
الحال

ولا ندرى اذا ما الليل ولي باي عجيبة يأتي النهار
فرأينا ستورا تعبت بها يا التمزيق وفرشاً طال عليها السات الحريق
وبسطاً غالية الثمن قلب لها الدهر بانقلابها ظهر المحن وغير ذلك من كل
قييحة فيالاعار وبالفضيحة ثم وجدنا صبياني يده ظرف يتفق مع كتابنا
المطلوب في الوصف يقبله بين يديه وتارة اخرى يضعه بين رجله فاخذنا
هذا الظرف في الحال وكان الحصول عليه منتهى الآمال واجتمعنا لتلاوة
مظروفه فاذا هو بحروفه

بسم الله خالق الموت والحياه والصلاة والسلام واتحيه على نبي
الرحمة المنزلة عليه آية الوصيه وعلى آله الاطهار واصحابه الابرار وبعد
فان الداعي ممن لم يلهيهم الامل ولم يشغلهم العمل عن انتظار كلمة الله العليا
بمفارقة هذه الحياة الدنيا بل كنت وانا في سعة من المعاش بين الاثاث
والرياش في ايام الهناء في ساعات الصفاء في حالة الايناس ولذة السمر
او كما يقولون بين الرياض وبين الكاس والوتر اترقب الموت دائماً وأراه

على نفسي قائماً واني الساعة قبل الاثيه راحل من دنياي الفانيه ولم
يأت يوم جديد حتى اردد قول ابن دقيق العيد

افكر في حالي وقرب منيتي وسيري خشياني مصيري الى القبر
نعم ولا يزال ذلك متمثلاً بين عيني واني صائر الى مصير كل حي فانا
قبل ان اتم هذه الكلمات اخشى ان يقال فلان مات فلماذا اقول كلتي
واكتب وصيتي

وصيتي لاقربائي واصحابي واصدقائي

الواو لا تقتضي الترتيب والمدعو منكم هو الحر المحيب فاذا نعت
اليكم ونزل خبر انتقالي عليكم فاجتمعوا التشيعي وقوموا بواجب توديعي
ولكن احذركم ان تسمحوا بنادبه او تسمعوا الصاخبه او ترضوا لفاطمه
ان تكون لاطمه او تأذنوا لئانحه او تنصتوا للصائح او تفتحوا باباً
للموءنات هؤلاء اللائي اشتهرن بالمعدنات ثم اعلموا ان الحزن انما
هو في القلوب لا بلطم الحدود ولا بشق الجيوب فانها كم ان تأتوا شيئاً
من هذه المعاييب وان تحملوا اوزاركم على ظهوركم بهذه المثالب فالتبي لما
نجع بولده وفلذة كبده قال ان العين لتدمع وان القلب ليخشم وانا
بك يا ابراهيم لحزون انا لله وانا اليه راجعون ولذلك لا تخرج وراء
النمش قريبه ولا جارة ولا صاحبة ولا نسيبه لارا كبات ولا راجلات
ولا متبرعات ولا سافرات ولا اختي ولا زوجتي ولا بنت اخي ولا
ابنتي فقد نهى عن ذلك سيد الكائنات بقوله ارجعن مازورات غير
مأجورات واياكم وخروج النساء الى القبر فذلك عيب لا يستطاع عليه
الصبر اما اتم فاذا زرتهم المقابر فليكن للعظه ولكم في ذلك ذكرى وموعظه

تنظرون الى الموتى في حفرتهم نظر الذي سيلحق بهم في ليلة زورتهم
وتفكرون في من ضمت هذه المقابر من الاكابر والاصاغر ومن ملك
ومملوك وامير وصعلوك وكيف ان الموت حل بهم فجعلهم الجميع
لا ينتظرون غير عفو ربهم لاشيء مما افتنوا ولا قصر مما بنوا ولا مال
ولا بنين ولا امل في غير رب العالمين فيظهر لكم باجلى برهان قدرة
الواحد الديان وكيف اننا بعد الحياة ميتون وبعد الموت منتشرون
(كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون)
وكذلك اجتنبوا السرف في النفقات ولا تبسطوا ايديكم بشيء مما تسمونه
صدقات كذلك انما هم عما تسمونه بالكفارة والنقوش في الحجارة فذلك
وزر على وزر وهذا عمل لا يفيد ساكن القبر

يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله من تحته مغلول

وبالجملة امركم ان تكونوا عند حد الشرع الطاهر وان لا تقربوا شيئاً
من تلك المظاهر وان تحاربوا تلك العادات بعدتكم وعدتكم وتجاهدوا
لازالة تلك السيئات بجميع قوتكم لتطهروا بيت العلم من مثل هذا الخزي
والاثم لانه اذا كانت بيوت العلماء ميداناً لهذا الشقاء والبلاء وما تم
الكبار تشتمل على مثل هذا العار فكيف يرجى لنا الصلاح او تعلق
آمالنا في النجاح

كنت في الحياة اظهر باجل رونق بثياب من سندس واستبرق وانا
الى البلى اليوم صائر فما معنى هذه المفاخر هل لتبجاني الاشلاء كما يفعل
بالاحياء ام تحشون ان يحقرني اهل الدار الآخرة فتدثروني بخنوطكم
الفاخرة وتزفوني بحفلاتكم الباهرة ام ليت شعري ما الذي يدعوكم لركوب

هذه الآفات واحتمال هذه النفقات ذلك لعمرك الحق لا ينفع وما تقدمونه
لي من صلاتكم لا يشفع فالله الذي وعد المتقين خيراً في الدار الآخرة
يقول (فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)
فن سلك سبيل الطاعات يحمد منه السرى فقد قال تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ومن ضل عن الصراط السوي ولم
يتبين الرشd من الغي فبشره بالعذاب الاليم والذين كذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب الجحيم فياقوم كتابكم وعدكم بالثواب على الحسنات واوعدكم بالعقاب على
السيئات والله لا يخلف الميعاد ولا يمنع ما اراد فاعملوا باوامره واجتنبوا
نواهيه تكونوا من الفائزين ولا تظنوا غير ذلك (فذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين)

فهذه وصيتي بكتابي لجميع الذين يحضرونه (فن بدّ له بعد ما سمعه فانما
اثمه على الذين يبدلون له)

محمد محمد

بالاوقاف

الشعر المصري

٣

المقدمة

رأينا من آداب البحث في موضوعنا ان لانفاجىء القارئ بالمقصد قبل
وضع مقدمة شافية وافية ثبت فيها ما يتطلبه قاعدتنا ويقتضيه مطلبنا ولا